امرئ القيس:

هو واحد من أشهر الشعراء في الأدب الجاهلي ، بل هو أشهرهم على الإطلاق ، وهو رأس الطبقة الأولى من شعراء العرب ، كما أنه من أصحاب المعلقات ، شغلت أشعاره النقاد ، فوقفوا على شعره شرحًا وأفردوا له دراسات تفصيلية ، فقد كان سباقًا إلى كثير من المعاني والصور .

حياة امرئ القيس ونشأته :

هو من قبيلة كندة ، يماني الأصل ، ولد عام 496-544م بنجد ، في منطقة بطن ذي عاقل كان والده ملك أسد وغطفان ، واختلف في نسب أمه فقد ذكر الرواة أن أمه ، هي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير ، أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين.

قرض الشعر وهو غلام ، وجعل يشبب بالنساء ، ويلهو ، ويعاشر صعاليك العرب ، كعادة أبناء الملوك ، فانتهي ذلك إلى علم والده ، فأبعده إلى حضرموت موطن عشيرته ، وهو في العشرين من عمره ، ولكنه استمر يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب ، يشرب ويطرب ، ويغزو ، ويلهو .

النساء في شعره :

إذا تحدثنا عن شخصية هذا الشاعر الشاب الوسيم ، فلا يمكن أن نغفل حبه للنساء ، والتشبيب بهن ، وقد ورد في شعره الكثير من أسماء النساء ، ذكر ابن قتيبة منهن ثلاثًا هن : فاطمة بنت العبيد العامرية ، وأم الحارث الكلبية ، وعنيزة صاحبة يوم دارة جلجل ، وهناك نساء أخريات وردت أسماؤهن في شعره ، وفي أخباره المروية ، كأمّ جندب ، وزوجته هند الكندية ، وابنة القيصر .

أهم الحوادث التي غيرت حياته :

عاش هذا الشاعر حياته بين قطبي اللهو والحرب ، فقد كان لاهيًا عابثًا ، حتى ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه ، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي ! ضيعني صغيرًا وحملني دمه كبيرًا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا ، اليوم خمر وغدًا أمر ، حيث طاف شبه الجزيرة طولها وعرضها باحثًا عن أنصار ، لدعمه في سعيه للثأر لأبيه واسترداد ملكه ، أو هاربًا من أعدائه.

الشعر عند امرئ القيس :

اتفق النقاد أنه نجم ساطع في سماء الشعر العربي في كل عصوره ومراحله ، ولا يمكن أن ينكر منكر دوره في شكل القصيدة العربية في العصر الجاهلي ، حيث انطلق من ملكة شاعرية متفردة ، وأساليب شعرية غير مسبوقة.

فأصبحت أشعاره مع الأيام والعصور ، سننًا وطرائق لا سبيل إلى تجاوزها أو حتى تغييرها وتطويرها ، من ذلك استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وتشبّيه النساء بالظباء وتشبّيه الخيل بالعقبان والعصيّ ، وقيّد الأوابد .

من أشعاره:

وقف كثير النقاد حول أبيات أنارت الطريق لمن بعده في الخيال والصور ، وتخلدت في ذاكرة الزمان ، وأصبح بسببها أشعر الشعراء في تاريخ آداب العرب ، فمنها قوله في وصف الفرس:

مكر مفر ، مقبل مدبر ، معًاك جلمود صخر حطه السيل من عَلِ

وقوله في اشتداد الهم في الليل ، مع استواء الليل والنهار في أنواع الظلمة والهموم:

ألا أيها الليل الطويل ألا انْجلي بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل

بناء القصيدة والصور في شعره :

من التقاليد الفنيّة للقصيدة الجاهلية ، تعدّد الموضوعات فيها من فخرٍ ، ورثاء ، وغزلٍ ، وكذلك جاءت قصائده تحمل الكثير من الموضوعات ، وكان شعره عفويًا في التعبير عن خطرات قلبه ومعاناته ، ويحمل شعره بين طياته أنسام البوادي ، وقسوة الفيافي.

واتسم شعره أيضًا بصدق التعبير ، وبساطة الخيال والتشبيهات والصور ، بالرغم من الألفاظ التي نراها غريبة ، وغير مفهومة فقد كانت مفهومة وقتها ، فقد جاءت تلك التشبيهات من البيئة المحيطة به والواقع الذي يعيشه ، إلى جانب بساطة قصائده ووضوحها ، أمّا لغتُه فتتميّز بالرقة في الغزل والنسيب ، وبالفخامة والجزالة في الفخر والمدح .

وفاة امرئ القيس :

كانت وفاته أثناء تنقله بين البلاد ليبحث عمن ينصره في إعادة ملكه الضائع ، حيث وصل إلى بلاد الروم إلى القسطنطينية ، وبعد شباب قضاه في الحرب ، والثأر والتنقل ، تعب جسده وأنهك وتفشى فيه ، وهو في أرض الغربة داء الجدري ، فلقي حتفه هناك في أنقرة في سنة لا يكاد يجمع على تحديدها المؤرخون .

**معلقته:**

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ

فتوضح فالمقراة لم يَعفُ رسمهاَ لما نسجتْها من جَنُوب وَشَمْأَلِ

ترى بَعَرَ الأرْآمِ في عَرَصاتِها وقيعانها كأنه حبَّ فلفل

كأني غَداة َ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَلّوا لدى سَمُراتِ الحَيّ ناقِفُ حنظلِ

وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ يقُولون لا تهلكْ أسى ً وتجمّل

التحليل:

1 – يا صاحبي قفا و أعيناني على البكاء عند تذكري حبياً فارقته و منزلاً خرجت منه و ذلك الحبيب و ذلك المنزل يقعان بين هذين الموضعين اللذين هما الدخول و حومل .

2 – و قفت ساعة رحيلهم أبكي كأني أنقف حنظلة بظفري لأستخرج منها حبها و إنما شبه نفسه بناقف الحنظل لأنه تدمع عيناه لحرارة الحنظل و مرارته فيجد أثر ذلك في حلقه و أنفه و عينيه فيكون في أسوأ حال .

3 – بعد أن بين في البيت السابق حاله لقد و قف علي أصحابي و أنا قاعد عند رواحلهم قائلين لي لا تهلك من فرط الحزن و شدة الجزع و تجمل بالصبر و أظهر للناس خلاف مافي قلبك من الحزن و الجزع .

وقوله: «فَتُوْضِحَ».

الفاء بمعنى الواو أيضا، وتوضح معطوف على قوله: «فَحَوْمَلِ»، وهو مجرور، وجره الفتحة الظاهرة على آخره نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

«فَالْمِقْراةِ»: بالكسر معطوف على قوله «تُوضِحَ».

أي: فسقط اللوى، والدَّخُول، وحومل، وتوضِح، والمقراة خمسة أمكنة.

قال الحازمي في الأماكن «1/432»:

الدَّخُول: بعد الدال المَفْتُوحة خاءٌ معجمة: في دِيَارِ بني أبي بكر بن كلاب، ذكر مع حومل في شعر امرئ القيس.

قال أبو بكر الأنباري في شرح القصائد السبع الطوال «ص19»:

والدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع ما بين إمرة إلى أسود العين، وأسود العين: جبل. وقال ابن حبيب: هي منازل كلاب.

«لَمْ يَعْفُ»:

لَمْ: حرف نفي وجزم وقلب، مبني على السكون لا محل لها من الإعراب. «يَعْفُ»: فعل مضارع مجزوم، وجزمه حذف حرف العلة الواو؛ لأنه معتل الآخر، وجملة «لَمْ يَعْفُ» في محل جر نعت لمنزل، ولو أَعَدْنَا الضميرَ على الأماكن الأربعة لكانت الجملة حالا من مقراة المعطوفة على ما بعدها.

ومعنى لَمْ يَعْفُ: لم يُمْحَ أثرُها ولم يَدْرُسْ، من «عَفَا يَعْفُو عَفَاءً»، يقال: الرِّيحُ تَعْفُو الدَّارَ عَفَاءً وَعَفْوًا، وَتَعَفَّتِ الدَّارُ تَعَفِّيًا، كما قال لَبِيدٌ: عَفَتِ الدِّيَارُ.

وقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْعَفْوُ فِي الدَّارِ: أَنْ يَكْثُرَ التُّرَابُ عَلَيْهَا حَتَّى يُغَطِّيَهَا.

«رَسْمُهَـا»:

أي: أثرها، قال ابن فارس في مقاييس اللغة «2/393»:

الرَّسْمُ: أَثَرُ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ تَرَسَّمْتُ الدَّارَ، أَيْ نَظَرْتُ إِلَى رُسُومِهَا. قَالَ غَيْلَانُ:

أَأَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً \*\*\*\* مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ

قلتُ:

والضمير في رسمها يعود على «مَنْزِل»؛ لأنه أراد معنى الدار فأعاد الضمير بالتثنية، أو يعود على الأماكن الأربع ولا إشكال.

«لِمَا نَسَجَتْهَا»:

قال في اللسان «2/376»:

النَّسْجُ ضَمُّ الشيء إِلى الشيء هذا هو الأَصلُ نَسَجَهُ يَنْسِجُه نَسْجًا فانْتَسَجَ ونَسَجت الريحُ الترابَ تَنْسِجُه نَسْجًا سَحَبَتْ بعضَه إِلى بعض. اهـ

وقال في العين «6/55»:

والرِّيحُ تَنْسِجُ الدارَ إذا نَسَجَتِ المَوْرَ والجَوْلَ على رُسُومِها والرِّيحُ تَنْسِجُ التُّرابَ والماءَ أي تَضرِبُ مَتْنَه فانْتَسَجَتْ له طرائقَ كالحُبُكِ. اهـ

«مِنْ جَنُـوبٍ»:

الريح التي تأتي من جهة اليمن.

«وشَمْألِ»:

الريح التي تأتي من جهة الشام.

قال أبو بكر ابن الأنباري: قال الأصمعي:

معناه لم يدرس لما نسجته من الجنوب والشمال، فهو باق، فنحن نحزن، ولو عفا لاسترحنا.

قال ابن أحمر:

ألا ليتَ المنازلَ قد بلينا \*\*\* فلا يرمين عن شُزُن حزينا

قلتُ: يشهد لذلك قول الأعشى في ديوانه «ص53»:

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصّيـ \*\*\* ـفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبًا وَشَمَالِ

وقال قوم: المعنى لم يعف رسمها للريح وحدها، إنما عفا للمطر والريح وغير ذلك من مر الدهور به؛ وهو دارس في المعنى.

ومعنى البيتين:

قفا يا صاحبيَّ نَبْكِ لأجل تَذَكُّرِي حبيبًا قد فارقتُه، ومنزلا كائنا بسقط اللوي بين مكان الدخول ومكان حومل، ومكان توضح ومكان المقراة خرجتُ منه، وهذا المنزل لم يُمْحَ أثرُه ولم يَدْرُسْ بسبب ما أَتَى عليه من ريح الجنوب والشمال، فهو باق، وأنا حزين عليه.